

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي

الدكتور علي رضا اقاحسيني

خلاصة:

بعد انتهاء الحرب الباردة، ترافقت العولمة مع مفاهيم تتضمن السيادة الشعبية ولم تنفصل مناطق الشرق الاوسط وشمال افريقيا والخليج الفارسي عن هذه المسيرة. وبعد مرور عقد التسعينات الذي كان يدون ويصوغ خلاله المحافظون الاميركيون الجدد ارائهم المتطرفة فانهم قد جعلوا العقد اللاحق فرصة لتنفيذ مشروعهم الممتد لقرن واحد. وقد اثارت احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نزعة التطرف وكانت العقيدة التي اثارت اهتمام المحافظين الجدد هي الهجمات الاستباقية بحيث كان يمكن منذ البداية رؤية فشل هذه العقيدة.

وفي هذا المجال يسعى هذا المقال في القسم الاول الى شرح وايضاح افلاس هذه العقيدة من خلال اعتماد آراء فوكو ودريدا وغرامشي.

وفي القسم الثاني لهذا المقال يتم التطرق الى النزعة الانتقالية من عملية سد النفوذ الى عقيدة الهجمات الاستباقية في اطار العملية المدمرة لالاسس التقليدية لاحداث ١١ سبتمبر وفشل قوة بناء الامبراطورية والعجز في تصدير الامن والديمقراطية.

واخيرا ومع اثبات عدم فاعلية الهجمات الاستباقية بشكل عملي يتوفر المجال لعملية سد النفوذ.

ويكون العدول عن اي رصيد ايجابي وبناء ومتقدم هو من نتائج اداء عملية سد النفوذ في الظروف الحالية.

المقدمة :

في اعقاب الاصلاحات السياسية والاقتصادية في الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٨٥ بدأت تغييرات وتطورات محسوسة في القارات المختلفة يمكن اعتبارها بداية لنهاية الحرب الباردة بحيث انتشرت عملية انهيار الاتحاد السوفيتي ومجموعة الدول الشيوعية في اوربا الشرقية الى القارات الاخرى مثل افريقيا واسيا وحدثت موجة جديدة يمكن تسميتها بموجة السيادة الشعبية. ان النقطة المهمة هنا هي ان ظهور السيادة الشعبية في المناطق المختلفة في العالم بما فيها الشرق الاوسط وشمال افريقيا والدول العربية المطلة على الخليج الفارسي لاتعود جذورها الى النظريات التجريبية التحديثية بل كانت تكمن في الرغبة في التغييرات السياسية المرتكزة على العولمة وتوسيع النزعة المناطقيّة والقبول التدريجي والمرحلي بالقناعات الديمقراطية المحلية.

وبناء على هذه النظرة يسعى هذا المقال الى اثبات اولا ان السيادة الشعبية ليست مفهوما مستوردا وثانيا لن يحقق اي تدخل خاصة التدخلات والمغامرات العسكرية الاميركية اي نتيجة في وضع الترتيبات الديمقراطية والامنية. وعلى هذا الاساس يقسم هذا المقال الى قسمين، القسم الاول ومن خلال الاستفادة من التحليل الحوارى يوضح ان المفهوم الدخيل المتمثل بالترتيبات الديمقراطية والامنية هو مفهوم بلا جدوى وفي القسم الثاني يتم مناقشة الاسباب التي ادت الى الاهتمام بالعقيدة

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي / ٩٧

الاستباقية. كما ان دراسة عجز اداء هذه العقيدة والاهتمام التدريجي والمجدد بعملية سد النفوذ منذ عام ٢٠٠٦ ياتيان في المرحلة الاخيرة لهذا القسم. وفي الوقت الذي يناقش في مجال الهجمات الاستباقية، دور احداث ١١ سبتمبر وفشل بناء الامبراطورية والعجز في تصدير الامن والديمقراطية يمكن مشاهدة نوع من التخبط الاستراتيجي للولايات المتحدة الاميركية في الاهتمام التدريجي والمجدد بعملية سد النفوذ. وخلال تطبيق عقيدة الهجمات الاستباقية للمحافظين الجدد، تمكنا من مشاهدة المجاهرة والتظاهر بمطالبة الديمقراطية الا ان الاهتمام المجدد بعملية سد النفوذ فقد اظهرت الولايات المتحدة جليا اهدافها السلطوية.

القسم الاول :

هانتينغتون وصدام الحضارات، توجه سياسي

يتضمن صدام الحضارات مفاهيم مبدئية لم يهتم بها المفكرون السياسيون والدوليون بشكل كافٍ.

ويعرف هانتينغتون في الاوساط العلمية الجامعية عموما بسبب ارائه في مجال " صدام الحضارات " و " عولمة القيم الغربية " و " طموحات الانظمة السياسية غير الغربية لكسب مكانة في العلاقات الدولية " (MIRSEPASSI 2000-P:101). مما لاشك فيه تحظى هذه المفاهيم بأهمية خاصة لكنه يمكن مشاهدة ابعاد اخرى من افكار هانتينغتون تم تغافلها لحد الان. وفي هذا المجال نحاول ان نشير الى موضوعين اساسيين في ارائه. الموضوع الاول هو اهمية دور السياسة في تحاليله. وبداية يجب تحديد ثغور وحدود السياسة لكي تتحدد امكانية عملية التحديث التي قام بها هانتينغتون في هذا المجال. وحسب الاسلوب التقليدي يمكن القول انه خلال فترة الحرب الباردة

سيما في عقد الستينات كان هانتينغتون منظرا يؤمن بالحكومة المستقرة. وبسبب ايمانه بمدرسة التحديث والتجديد كان هانتينغتون يقدم رزمة من الاستراتيجيات المرتبطة بالترتيبات السياسية بحيث يتمكن المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة الاميركية في نهاية المطاف من الحفاظ على قوته وتفوقه على المعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي وكانت نتيجة هذه النظرية بشأن "الترتيبات السياسية في الدول المعرضة للتغيير " هي ظهور الانظمة الاستبدادية في المعسكر الغربي.

ان الشيء الملفت للنظر للساسا الاميركان خلال هذه الفترة بشكل عام ولهانتينغتون بشكل خاص كان يكمن في اهمية الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي في اطار الانتاج والعلاقات الراسمالية دون امكانية تصنيف مكانة القوى الاجتماعية على مستوى التعاملات او التعارضات السياسية. وقد تم تجاهل التعاملات او التعارضات السياسية ليس من باب التسلية بل بسبب ضرورة العلاقات الثنائية القطب. وفي الحقيقة انه ومثل العديد من اصحاب الراي في مجال العلاقات الدولية بمن فيهم جيمو روزنا (سيف زاده، ٢٠٠٢، ص ٣٥٧)، يقوم بتحليل المستويين الجزئي والكلي. وحسب رأيه لايمكن مشاهدة الاستقرار السياسي فقط في افاقه الوطنية والمحلية بل ان نظرية التحديث يجب ان تتجه نحو التركيب على المستويين الوطني والدولي. ورغم ان هذا الراي لم يصنف بشكل واضح بين اراء هانتينغتون الا ان تشكيل انظمة مستبدة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا واميركا اللاتينية خير شاهد في هذا المجال.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانهاء الحرب الباردة يمكن مشاهدة ظهور هانتينغتون في شكله الجديد المتمثل بالدخول الى حقل السياسة وان السياسة من وجهة نظر علم الأجيال تفقد فيها الاقتصاد والتحديث تاثيراته الى حد كبير ويتبلور فيها هوية المجتمعات البشرية في التعارضات والتصرفات السيالة بشكل متزايد (MOUFFE)

111 P 1985 LACLAU AND). ومن هذا المنظور فان السياسة هي بمعنى الظهور الافقي للهويات في مجال " المستوى " خاصة مستوى المجتمع البشري او العلاقات الدولية بحيث أنه من خلال الاستراتيجيات المرتبطة بالالغاء والطرء ونفي الذات يمكن صياغة حقل الشرعية (HOWARTH 2000 P 138). ان هذا الموضوع هو بالضبط يعتبر مجالاً جديداً اهتم به هانتينغتون في مقاله المعروف تحت عنوان " صدام الحضارات وتجديد الرؤية في النظام العالمي. وخلافاً للانسجام والترتيب السياسي في الدول المعرضة للتغيير التي تلعب دوراً مصيرياً في تحديث ظهور الانظمة الاستبدادية (HUNTINGTON 1968 P 5) فقد قام هانتينغتون في صدام الحضارات بارتقاء تحاليه الى حقل السياسة وصدام الحضارات في مسار افقي.

ومن هذا المنظور فان الحضارات المطروحة بما فيها الحضارة الاسلامية تكون أولاً على مستوى بقية الحضارات وثانياً فان عنصر الحدود السياسية المرتكز على الغاء الهوية والمشروعية يُبلور ويظهر نفسه. ويجب ان نذكر هذه النقطة انه رغم اهتمام مؤلف كتاب صراع الحضارات بوجود حدود سياسية بين الحضارات لكنه ينبغي ان لا يتصور بانه يؤمن بالتكافؤ الثقافي او الحضاري لانه عكس ذلك تماماً. ان هانتينغتون ومن خلال نظريته الاستشراقية يعتقد بوجود مكانة سامية للحضارة الغربية ويؤكد ان روح التساهل والتسامح في الحضارات الاخرى هي دليل على نقصها وضعفها. (HUNTINGTON 1993 P 68-80).

ربما هذا الموضوع في النظرة الاولى يعتبر ضعفاً نظرياً في اراء هانتينغتون الا ان الدخول في مجال السياسة باعتبارها مصدر التناقض بين المعسكرات المختلفة للقوة يشير الى نقطة رئيسية اخرى في اراء هانتينغتون التي يمكن ان يقال بانها

تتضمن نتائج ملموسة في مجال العلاقات الدولية . وبداية يتم شرح النقطة الأساسية الثانية المغفولة في آراء هانتينغتون وبعد ذلك يتم التطرق الى تأثير هذا الموضوع في عقائده العملية. كما ان الاهتمام بالسياسة والمجالات والقطاعات الحضارية المختلفة هو تأكيد على عنصر " التفاوت " . وفي مجال التحليلات النفسية والحوارية فان " منطق التفاوت " عموما يقوم بدور اساسي في تحديد نظام الهوية. ومن اجل ايضاح هذا الموضوع يمكن الاستفادة من آراء ويتغنشتاين في مجال مفهوم " اوجه الشبه العائلية " لاطهار " منطق التفاوت " الذي يؤمن به هانتينغتون.

ويستخدم ويتغنشتاين في تصنيف الحوارات، عنصرين وهما الارتباط والتفاوت في الاليات الداخلية للأسرة لكي يعين حدودها، اولاً لان اعضاء الأسرة لهم ارتباطات وثيقة بينهم وثانياً يظهر عنصر الارتباط ان اي عضو مختلف عن عضو اخر. ورغم انه يمكن تحديد اوجه الشبه بين اعضاء الأسرة لكن هوية كل عضو من الاعضاء تركز على الارتباط والتفاوت بين بعضهم البعض - WITTENSTEIN 1958 P138-190 .-

نظرا الى القضايا المطروحة بشأن العنصرين المبدعين، السياسة والتفاوت في صراع الحضارات يمكن القول بان الحضارات في رأي هانتينغتون تمتلك اوجه الشبه العائلية وفي اطار الحدود والثغور وامتلاك عناصر حضارية والاستفادة من المنطق المشترك لترسيم الحدود السياسية تعمل على الاقل بشكل مماثل. ورغم اوجه الشبه هذه يجب ان يقال ان الحضارة الاسلامية مختلفة عن الحضارة الصينية وان هاتين الحضارتين مختلفتان ايضا عن الحضارة الاوروبية. ورغم ان هانتينغتون يبرز عناصر السياسة والتفاوت لكنه بين الحقول الحضارية المختلفة يقيم القيم المدنية والليبرالية والعولمة في الغرب. ويمكن رفض هذا الرأي والقاء اللوم عليه بسبب

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي / ١٠١

تجاهله التعددية الثقافية في كل من الحقول الحضارية المستقلة ووجود الاختلافات الثقافية البارزة في كل الحضارات الا ان هذا الراي المثير للتحدي له ضد بناء الامبراطوية من قبل المحافظين الاميركيين الجدد ورفض التدخلات الاميركية لتصدير القيم الغربية امر مثير للاهتمام.

وقد ادت عناصر السياسة والتفاوت الموجودة في افكار هانتينغتون الى انه يصبح في عداد المعارضين لبناء الامبراطورية الاميركية. وبناء على السياسة والتفاوت يعتبر النظام الدولي المستقبلي نظاما مرتكزا على التعددية والتنوع. وفي المجموع يقوم هانتينغتون بدراسة العلاقات الدولية المستقبلية على مستوى الولايات المتحدة الاميركية والقوى الاقليمية المقتردة والقوى الاقليمية من الدرجة الثانية والدول الاخرى. وتؤكد دراساته المبنية على الواقعية، النظام المتعدد الدولي المستقبلي (HUNTINGTON 2005 P 5).

ان الامر الذي يميز هانتينغتون عن المحافظين الجدد هو وجود نظريته الواقعية بشأن النظام الدولي المستقبلي. انه يعرف جيدا القوة المادية الاميركية لكن الامر الذي يجبره على تقييم النظام المستقبلي " المتعدد الاقطاب " هو الوزن الاستراتيجي للحقول الحضارية الاخرى والقوى الاقليمية الكبرى التي تعتبر طاقة مستقلة وعلى هذا الاساس تسعى وراء مصالح مختلفة.

كما قيل فان اراء هانتينغتون مبنية على النزعة الواقعية ويمكن بناء على هذه النظرة الواقعية اثبات فشل التدخلات الاميركية في المناطق المختلفة بالعالم بشكل عام ومغامراتها العسكرية في منطقة الخليج الفارسي بشكل خاص. وفي هذا المجال ومن خلال شرح اراء ثلاثة من المفكرين وهم ميشل فوكو وجاك دريدا وانتونيو غرامشي نتابع هذا الموضوع.

١- ميشل فوكو وموضوع التواصل والتباعد

يعتبر فوكو من المفكرين القلائل الذي تطرق الى اسس الافكار الماركسية من خلال دراسة الحركات الطلابية الغربية. ولم يكن فوكو في سير دراساته معجب فقط بانجازات حركة مايو الطلابية في فرنسا بل كان معجب ايضا بحركة الخضر (انصار البيئة) والحركة المناهضة للأسلحة النووية والحركة ضد الامراض النفسية وكان له نظرة ثاقبة وعميقة تجاه الثورة الإسلامية الإيرانية وكل هذه العوامل كشفت عن موت الصنم الذهني المتمثل بالعولمة الغربية. وقد اعتبر فوكو الثورة الإسلامية الإيرانية بانها طاقة معنوية وثورية وروحية في العصر الحديث المتصف بالجمود ولذلك لايمكن في اي اطار حديث وعصري ان نعتبر الثورة الإسلامية الإيرانية جزءا من الحضارة الغربية بل ان هويتها المستقلة في نهاية عصر الثورات الجديدة كانت بشرى لتجديد حياة الحضارة الإسلامية. وفي مثل هذه الاجواء عدل فوكو عن عولمة القناعات الغربية ومن خلال قبول الطاقات الأخرى في المناطق المختلفة بالعالم ايد فكرة النزعة التعددية للمتقنين. وكان رايه في هذا المجال واضحا بحيث ان كل نص حوارى يكون له متقفون قليلون ومحددون وخلافا للاراء السابقة التي كان المتقفون الغربيون ومن خلال لجوئهم الى قيم العولمة الغربية يقومون بدور تجويزي في تبيين المستقبل فانه عرف المتقفين في التعامل ذات المعنى والمباشر مع الناس (NORVAL 1996 P64-65). وكان فوكو معجبا بشكل كبير بمؤسسي الحوار الذين كانوا يرسمون اجواء الحوار من خلال الاستلham من شعوبهم وعبر خلق قواعد لغوية سياسية حديثة كانوا يثبتون بقائهم في الوجود لفترة طويلة. (PAULRABINO 1984 p113).

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي / ١٠٣

واضافة الى دور المثقفين في كل حضارة او مجتمع بشري واستلهامهم من الخصائص الثقافية - الحضارية لتلك الحضارة كان فوكو يعتقد بان كل حوار له منطق باطني بحيث انه حسب رايه فان الحضارات وعبر التعامل البناء بين العلم والسلطة كانت توفر الارضية لاجراء الحوارات. كما ان العلم والسلطة كان لهما معنى ومفهوم في اطار التواصل المستمر. بعبارة اخرى فانه بدون التعاون المتواصل بين هذين العنصرين لايمكن متابعة الحوار بحيث ان العلم يستخدم دوما السلطة والسلطة تستخدم دوما العلم وان هذا التعاون يكون ذات معنى في التواصل الدائم لهذين العنصرين.

ان فوكو كان يرى التباعد الحواري على مستوى العلاقات والصلات الدائمة بين العلم والسلطة وحسب رايه كانت كل مرحلة زمنية لها مقتضياتها ومتطلباتها الخاصة ولذلك كان يبني حوار خاص بتلك المقتضيات والمتطلبات. (BOUCNARD 1997 P138).

ان النقطة الملفتة للنظر في اراء فوكو هي ان كل حضارة بما فيها الحضارة الغربية ورغم تنوعها وتعددتها على مستوى البلد كانت تمتلك حوارات خاصة بها وعلى سبيل المثال ان الولايات المتحدة ووفقا لمنطقها الباطني لها تواصلها العلمي والسلطوي وبناء على ذلك قد بنت الحوار الناجم عن التواصل بين العلم والسلطة. وانطلاقا من هذا الراي يكون من الجنون ان يقوم اناس بنشر اداء المجتمع الاميركي في المناطق الاخرى بالعالم. وحسب راي فوكو فان هذا الموضوع لايمكن تحقيقه ولايؤدي الى اي نتيجة سوى الازعاج واثارة المشاكل للولايات المتحدة والبلد المستهدف.

٢- جاك دريدا وموضوع التكرار

يعتبر جاك دريدا من الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين والمعروف بمدمر الاسس التقليدية. وخلال هذه الفرصة القصيرة ليس الهدف هو التطرق الى العملية المدمرة للاسس التقليدية يمكن دراسة ونقد هذا المفهوم في اثار وتاليفات دريدا (MOUFFE 1996 DERRIDA 1976 P 112-120).

ان الشيء المهم هنا هو رأي دريدا حول اصل حالات تكرار العلل والاسباب. وفي الوقت الذي تحمل العلل والاسباب " في حوار ما، مفهوما محددًا وواضحًا فمن المحتمل ان تتعرض لتحول وتطور ويكون لها مفهوم جديد وذلك من خلال خروجها عن الحوار المعني والدخول الى حوار جديد. وحسب رأي دريدا فان تكرار العلل والاسباب في النصوص والحوارات المختلفة يمكن ان يكون له مفاهيم متعددة (DERRIDA 1988 P 129).

ومن خلال تقديم مثال يمكن ان يوضح هدف دريدا من التكرار. تعتبر الديمقراطية لفظا له مفهوم خاص في النص والفحوى والحوار للولايات المتحدة بحيث تعكس امال وامنيات الشعب الاميركي. واذا خرج هذا اللفظ تحت اي ظرف من النص والعلاقات الحوارية الاميركية ودخل المجرى الحوارى في العراق يمكن حينئذ مشاهدة تكرار اللفظ. الا ان النقطة الاساسية هي ان تكرار اللفظ لا يتكرر في العراق مثلما يتكرر في الولايات المتحدة بل سيكون له مفهوم ومعنى يتناسب مع المجتمع العراقي. وربما تصدير القيم الليبرالية الى العراق هو احدى حالات التخبط للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة. لوكان الساسة الاميركيون، الى جانب اهدافهم المتنوعة في منطقة الخليج الفارسي، يرغبون بنشر الديمقراطية فان دريدا يثبت مدى قصر وعدم نضج هذه النظرة. وفي اطار هذه النظرة غير الناضجة فان المحافظين

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي / ١٠٥

الجدد وبعد ازاحة صدام حسين عن السلطة كانوا يرغبون باقامة نوع من الديمقراطية في العراق تضمن مصالحهم. وقد اثبتت الاجواء السائدة في منطقة الخليج الفارسي سيما العراق ان النماذج الديمقراطية التجريبية ستتحول الى ضدها وتصبح في مواجهة الولايات المتحدة.

٣- انطونيو غرامشي واصالة الشعوب

كان غرامشي من الشيوعيين الايطاليين الذي غير افكاره السياسية في السجن ونظرا الى العجز النظري للماركسية فقد تخلى عن هذه العقيدة. وليس هناك فرصة لدراسة التحولات الفكرية والاجتماعية لغرامشي الا انه يجب ان يقال ان غرامشي مع ميشل فوكو واخرين وفي مجال القضايا المرتبطة بالماركسية قد ازال الحالات الجزئية التي كانت تقرر مصير الاقتصاد ووضع اسس نظرياته على السياسة. ويؤمن غرامشي بالارتباط العضوي بين المثقفين والمدراء من جانب والشعب من جانب اخر بحيث كان يقول ان اي شعب يمتلك اصالة عميقة فان المثقفين المرتبطين بتلك الاصالة فقط بإمكانهم ان يصبحوا اسيادا في اجواء الحوار السائدة في المجتمع. وحسب رايه يجب ان لا يقلل من شان الشعب لان الاصالة والذكريات القومية - الوطنية لاي بلد تكون بين اهاليه. وكان غرامشي يؤمن بان ابناء الشعب هم الفلاسفة وفي تشخيص حكومتهم الجيدة يعتبرون افضل الحكام. وفي الازمات السياسية والاجتماعية تقوم الفئات المختلفة للمثقفين بتقييم اهداف ومطالب وامال الناس. ومن بين هؤلاء فقط اولئك الذين يقطعون وعودا بتحقيق مطالب الناس، يستطيعون استقطاب قلوب الناس والنفوذ في باطن الذكريات القومية والوطنية لهم. وتتحق هذه المطالب بشكل عام عبر حرب المكنات والمواقع التي تثير اجواء الحوار المختلفة. (FORGACS 1999 P 250). ولذلك

في مثل هذه الآراء تنهار الطبقة والفئة والتحليل الفئوي ويبرز دور التوعية للمفكرين والمتقنين. وخلافاً للمتقنين الذين يعتبرون حسب رأي ماركس من بين الطبقة المهيمنة ويقومون بتخدير الناس والشعب فإن هؤلاء المتقنين حسب رأي غرامشي يصلون إلى السلطة بفهمهم الأصلي لمصالح الشعب أو بمعنى أدق بفهمهم أصالة مصالح الشعب. وفي إطار هذا الرأي لم يتمكن المتقنون أن يقدموا أنفسهم باعتبارهم " نشطاء منفصلين عن الشعب " (smith 1998 p52-57).

ومع ذلك يجب التطرق إلى النزعة التدخلية للمحافظين الجدد ومدى صلتهم بالأصالة والذكريات القومية للشعوب في المناطق التي يتدخلون فيها. ومما لا شك فيه فلا يمكن على المستوى النظري عقد الآمال على النجاح في السياسات التدخلية لأن هذه السياسات لا يمكن أن تكون لها صلة ذات مغزى مع الذكريات الأثرية للشعوب في منطقة جغرافية محددة. وعملياً يجب الإشارة إلى الحالات التدخلية للولايات المتحدة الأمريكية في الخليج الفارسي وماهية هذه التدخلات وإدراك مفاهيم الأمن أو الديمقراطية.

القسم الثاني : النزعات التدخلية الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الخليج

الفارسي

الانتقال من عملية سد النفوذ إلى عقيدة الهجمات الاستباقية.

منذ بدء الفترة الرئاسية لبوش الابن انتهجت الولايات المتحدة سياستين ترتكزان على النزعة التدخلية وحسب رأي المفكرين من معسكر المحافظين الجدد بمن فيهم وليام كريستال فإن عملية سد النفوذ لم تعد كافية. وبما أن عقد التسعينات من القرن الماضي كان يعتبر عصر فقدان اتخاذ القرارات خلال الفترة الرئاسية لبيل كلينتون لكنه كان مهماً من جانب وهو أن تقدم الأفكار المحافظة الجديدة لبول ولوفويتز

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي / ١٠٧

مساعد وزير الدفاع الاميركي في حينه قد اخذ بعين الاعتبار احتمال ظهور منافسين جدد للولايات المتحدة. فقد عين ولفوفيتز مجموعة عمل لكي تنجز " دليل التخطيط الدفاعي ". وقد انجز هذا البرنامج عام ١٩٩٢ بحيث اقترح تشكيل نظام دفاعي للولايات المتحدة. وكان مشروع القرن الاميركي الجديد هو نتيجة مشاركة الجامعيين من معسكر المحافظين الجدد والجمهوريين اليمينيين. وقد انجز هذا المشروع الطموح عام ١٩٩٧. وقد نشر تقرير حول مشروع القرن الاميركي الجديد تحت عنوان عملية التاهيل الدفاعي الاميركي في سبتمبر عام ٢٠٠٠. وكان جوهر هذا التقرير هو تأكيد اساسي على تعزيز الالة العسكرية الاميركية لكي يساعد بوش الابن الذي كان انذاك مرشحا رئاسيا (سلطاني نجاد - حاجي يوسف، ١٣٨٦ (٢٠٠٧) ، ص ٢٢٢-٢٢١).

وكان الهدف الاساسي من المشروع الاميركي الجديد هو التمهيد للتخلي عن المفهوم الامني الجديد. فقد اهتم المحافظون الجدد بتطبيق المسؤوليات الاميركية العالمية وتعزيز علاقات الولايات المتحدة مع حلفائها بما فيها اسرائيل وتحدي الدول المعادية لها في انحاء العالم. وقد حدثت عام ٢٠٠١ الهجمات المشبوهة ضد مركز التجارة العالمي في نيويورك . وبعد هذا الحدث اثار المحافظون الجدد الذين جرت في عروقهم دماء جديدة، موضوع التواجد العسكري الاميركي الواسع في الخليج الفارسي. " ان الهجمات الاستباقية ضد افغانستان وبعد ذلك ضد العراق يجب ان تؤدي الى ازالة الانظمة المعادية وتساعد على انتشار الديمقراطية وعلى الولايات المتحدة ان تظهر بانه ليس فقط لم تحدث اي حادثة خاصة في اراضيها بل ان هذا البلد وكما في السابق ويل بشكل اكثر فاعلية وتأثيرا ياخذ بزمام المبادرة في جميع انحاء العالم. (فضلي بور، ١٣٨٢هـ - ش ٢٠٠٣م، ص ١٢٢).

وكان من البديهي ان تعتبر الولايات المتحدة اقوى بلد وكان ايضا من البديهي بان بإمكان هذا البلد ان يسقط طالبان او صدام حسين ولكن الشيء الذي لم يأخذه المحافظون الجدد في الاعتبار هو القيام بعملية البنيان بعد العملية التدخلية. وفي الحقيقة ان الهجمات الاستباقية قد اثارت الاما كثيرة على المستوى الدولي والاقليمي وحتى الداخلي. ولا يوجد هنا مجال للتطرق الى جميع ابعاد فشل وهزائم المحافظين الجدد طيلة الفترتين الرئاسيتين لبوش الابن الا انه يكفي فقط ان يظهر بانه اعتبارا من ٦ ديسمبر ٢٠٠٦ الذي وضع خلاله تقرير مجموعة دراسة اوضاع العراق تحت تصرف البيت الابيض والكونغرس ووسائل الاعلام، كيف بدا الساسة الاميركيون سير سقوطهم (تقرير بيكر - هاميلتون، ١٣٨٥ (٢٠٠٦)، ص ٢) وفي الواقع انهم تورطوا في مستنقع العراق. ووفقا لمفاد القسم الاول من هذا التقرير فان التدخلات الاميركية ومنذ البداية كانت محكومة بالفشل ولذلك ليس من الضروري ان تمر ٤ سنوات مليئة بالاحداث والمخاطر لكي تظهر رعونة وسفاهة المحافظين الجدد واستراتيجية هجماتهم الاستباقية.

و هذه كانت بعض الاسباب المهمة التي ادت الى فشل سياسة الولايات المتحدة في منطقة الخليج الفارسي الحساسة.

٤- طبيعة البنية التدميرية لاحداث ١١ سبتمبر

كانت احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فرصة مناسبة لكي تعود الولايات المتحدة الى طبيعتها الاصلية وتوازن بين توقعاتها الموجودة حولها. وفي الواقع يمكن القول انه رغم التعاطف مع ضحايا ١١ سبتمبر الا ان العمليات الارهابية اثبتت بانه لا يمكن رسم حدود معينة وتعريف النظام والامن في عصر الحداثة ويتم خارج هذه الحدود وفي

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي / ١٠٩

الشرق تجاهل جميع حالات الظلم والدمار والخراب التي تسببتها التدخلات الاجنبية ويجب التاكيد مجددا انه ما انهار فقط البرجان في نيويورك بل اهم من هذا الانهيار هو تفسخ النظام الاميركي في اذهان الشعب الاميركي وكذلك في اذهان شعوب العالم بشكل عام والشعوب الاسلامية بشكل خاص (رستمي، ١٣٨١ (٢٠٠٢)، ص ٢٧٣).

ومع فرض قبول انهيار عقائد المحافظين الجدد فكان من الواضح ان جميع التدخلات وتحت اي ذريعة تمت فانها لايمكن ان تكون عملية مشروعة تؤيدها شعوب منطقة الشرق الاوسط بشكل عام والخليج الفارسي بشكل خاص.

ويجب ان يقال بوضوح ان الولايات المتحدة وبعد ١١ سبتمبر كانت لها فرصة لاعادة التفكير لكي تعود الى جذورها التاريخية وتبدا من جديد نظاما متعدد الجوانب في التعاون مع الاخرين وذلك من خلال الاستفادة من الجامعيين الوطنيين الاميركيين. وامام مثل هذه التوقعات والافكار المصلحية وقبول الاثار المدمرة لاحداث ١١ سبتمبر التي مست النظام الاميركي الرمزي بشكل كبير فان المحافظين الجدد وباعتمادهم الغطرسة والعنجهية واستخدام القنابل ذات عشرة اطنان والعنقودية... تمكنوا فقط من اظهار غضبهم. ومن خلال القيام بتحليلات حوارية يمكن القول ان ظهور وبروز المقاومة بين شعوب منطقة الخليج الفارسي امام الولايات المتحدة

لا تعود جذورها الى قوة هذا البلد بل ان ظهور طاقات المقاومة والعجز في السيطرة عليها مؤثر على عمق تاثير عمليات ١١ سبتمبر في الانهيار الذهني والعلمي للولايات المتحدة. (laclau and mouffe 1985 p 125). ولا يمكن الصاق الماضي المنهار قبل احداث ١١ سبتمبر باي لصق وان السبيل الوحيد كان الجهود المثقفة للعودة الى المبادئ التي احبطت من خلال المغامرات التي قام بها المحافظون الغاضبون الجدد.

٥- فشل قدرة بناء الامبراطورية

حتى لو لم تحدث حادثة ١١ سبتمبر فان هزيمة وفشل الولايات المتحدة كان متوقعا. قبل ١١ سبتمبر ومع انهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة فقد اثارت وتيرة العولمة موجة من السيادة الشعبية في المناطق المختلفة بالعالم بحيث ان العديد من دول منطقة الخليج الفارسي والشرق الاوسط وشمال افريقيا قد قامت تدريجيا بالتعرف على النسمة الجديدة للعولمة واجلا ام عاجلا فان الاجواء الواسعة المرتبطة بالمطالبات الشعبية كان بإمكانها ان تمس الانظمة غير الشعبية الا انه للأسف ماحدث هو النزعة التدخلية الاميركية والضغط العسكرية لالغاء مثل هذه المطالبات. كما ان المجتمع والنظام الإيراني المرتكز على السيادة الشعبية قد تعرضا ايضا لضغوط الولايات المتحدة. اضافة الى ذلك فان تصريحات زلامي خليل زاد سفير الولايات المتحدة في الامم المتحدة كانت مثيرة للاهتمام. ويصر خليل زاد الذي يعكس التصرفات الاميركية المتطرفة على ثلاث نقاط رئيسية. انه يعتقد بان تحدي دول المنطقة للولايات المتحدة هو حول رفض التفوق الاميركي في النظام الاحادي القطب وكذلك رفض العولمة الغربية الحديثة وعدم اتباع مبادئ ومنطق دول تمكنت في الشرق من اكتساب الخصائص الغربية (خليل زاد : ٢٧ - ١١ - ١٣٨٦). ولايزال يعيش المحافظون الجدد في اجواء الحرب الباردة متجاهلين ان الثورة الاسلامية بقيادة الامام الخميني "رض" ليست حركة ذات نزعة غربية بل ان مافعله الامام الخميني "رض" من خلال همته العالية وهمة الشعب الإيراني هو بناء طاقة حضارية متجددة تدعى الاسلام ولذلك لايمكن ان يتنزل هذا المنطق والطاقة الحضارية في اطار الحضارة الغربية او ان يكون تابعا لاداء النزعة المادية الغربية. (اقا حسيني : ١٣٨٥ (٢٠٠٦)، ص ٢١).

وفي بيان اكثر وضوحا فان الظاهرة الحضارية مثل الثورة الاسلامية الايرانية المدمرة للاس سائدة فقد بنت طاقتها المستقلة بحيث ترفض السيطرة الاميركية والعولمة الغربية الحديثة ومن الصدفة فان المحافظين الجدد لو لم يعترفوا بوجود مثل هذه الطاقات فان ذلك سيثير المصائب والكوارث الحالية التي يتعرض لها حاليا الساسة الاميركيون في المناطق المختلفة من العالم وخاصة في منطقة الخليج الفارسي.

١- العجز في تصدير الامن والديمقراطية الاميركية الى المنطقة:

ما قبل لحد الان يثبت بشكل جلي بانه: لماذا الولايات المتحدة فشلت في احلال امنها المنشود واقامة ديمقراطيتها في المنطقة؟ وقبل كل شيء فان الولايات المتحدة ليست صادقة في القضايا المذكورة بل وللأسف فان الامن المطلوب لهذا البلد هو الامن الذي يضمن مصالح الكيان الصهيوني ولذلك فان تشكيل قوى ضعيفة وعاجزة تدور في فلك المصالح الصهيونية هو من الاولويات الرئيسية للمحافظين الجدد في صياغة اي نوع من الترتيبات الاقليمية والاساليب والمناهج الحكومية ولو فرضا. وصفت الولايات المتحدة بالدولة الداعية للسلام والرائدة في دعم الحركات الشعبية والديمقراطية فانه يمكن ايضا اثبات فشل هذه السياسة. وفي الموضوع العراقي فرضت الولايات المتحدة في بداية احتلال العراق حكومة عسكرية على الشعب العراقي المقاوم وبعد رفض الشعب العراقي سلطت الولايات المتحدة شخصا مدنيا على مقدرات هذا الشعب. وقد اثبت المواطنون العراقيون ان عمق الطاقة الذهنية لحضارتهم الممتدة الى اربعة الاف عام اكثر بكثير من الافكار غير الناضجة للساسا الاميركيين. وكان المحافظون الجدد يريدون نقل السلطة الى الموالين للغرب والمطيعين لسياسات البيت الابيض الا ان الحضارة العراقية العريقة قد فتحت اعين المتغترسين المغامرين على هذه الحقيقة بان ساحة السلطة السياسية هي فقط مكان للمناورة وعرض قوة الارادة المنبثقة عن الشعب

العراقي (اقا حسيني : ١٣٨٤ (٢٠٠٥)، ص ١٣). اضافة الى ان من حيث المبدأ وكما شرح بشكل مفصل ليس للامن والديمقراطية الاميركية قابلية تطبيقية في العراق الا انه ليس من الواضح بان الساسة الاميركيين من المحافظين الجدد لماذا لم يتعضوا من تجاربهم الاستعمارية الماضية المريرة. وقد ادت الاحداث المريرة الناتجة عن الهجمات على الشعب الفيتنامي الفقير خلال الحرب الباردة الى الانسحاب العار والمخزي من مستنقع هذا البلد بحيث ان الرئيس الاميركي في حينه ريتشارد نيكسون فهم بان التواجد المتسم بالمغامرة في الدول الاخرى له تكاليف باهضة ولذلك فقد فضلت الولايات المتحدة على ان تنهي تدخلاتها في مثل هذه المناطق وان لاتراهن على دعم الانظمة الاقليمية.

٢- احياء استراتيجية سد النفوذ والتخلي عن الهجمات الاستباقية تدريجيا

كما قيل فانه قيل حضور المحافظين الجدد كانت الاستراتيجية الاقليمية الاميركية في منطقة الخليج الفارسي تركز على عملية سد النفوذ. وقد رافق الحضور ذات النزعة السلطوية للمحافظين الجدد في الحكم مع الهجمات الاستباقية لبناء قرن من الامبراطورية، المشروع غير الناضج وغير المدروس الذي كان يمكن توقع موته منذ البداية. منذ ديسمبر عام ٢٠٠٦ وحتى نهاية فترة بوش الابن كان عصر فشل عقيدة الهجمات الاستباقية وقد تزامن هذا العصر مع اقالة عدد من الوجوه المعروفة في جناح المحافظين الجدد وظهور مهندسين معتقدين بعملية سد النفوذ مثل روبرت غيتس وزير الدفاع الاميركي الحالي.

ويتابع خبراء القضايا العربية بشكل جيد هذا التطور الاستراتيجي و يبدون الاهتمام لجذور هذه التطورات الرئيسية. ويعتقد احد هؤلاء الخبراء ان حرب العراق قد اضعفت بشكل كبير مكانة الدول العربية وان هذه الدول كانت تخشى الخوض في

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي / ١١٣

اي حرب اخرى لان اي مواجهة كانت تؤدي الى اتساع رقعة المخاطر الامنية لها وتثير حالة عدم الاستقرار الامني في داخل اراضيها. ونظرا الى ان اقتصاد هذه الدول يرتكز بشكل رئيسي على ايرادات النفط وان مضيق هرمز يقوم بدور اساسي في حياتها السياسية فان اي مواجهة جديدة تؤدي الى تزلزل اقتصادياتها الضعيفة اصلا اكثر من ذي قبل. اضافة الى ذلك فان بوش الذي فشل في حروبه الاستباقية فكان عليه ان يكون مخجلا ومرتبكا امام الدول العربية لانها تضررت من الظروف الاقليمية الحالية. (li 2008 p 1-13).

ورغم ان الولايات المتحدة قد احييت مرة اخرى عملية سد النفوذ الا انه ليس هناك اي امل بفاعلية هذه الاستراتيجية. وتحاول الولايات المتحدة عبر ممارسة الضغوط من قبل مجلس الامن وتصدير الاسلحة الى الكيان الصهيوني واعطاء وعود الى الدول العربية في المنطقة حول تصدير اسلحة اليها بشكل محدود مقارنة بالكيان الصهيوني وطرح هذه العبارة انه " لاتزال جميع الخيارات مطروحة على الطاولة "، تحاول تغيير سلوك الجمهورية الاسلامية الايرانية. والى اي مدى تؤدي هذه التوجهات الى استعطاف الدول العربية وايجاد تحول استراتيجي على مستوى نظام الجمهورية الاسلامية الايرانية؟. لو ان القسم الاول من السؤال يتلقى رده من المستقبل فلا شك ان الطاقات والامكانيات الحضارية للجمهورية الاسلامية الايرانية لن تتغير جراء مثل هذه الضغوط الاميركية.

ويجب ان يقال بوضوح انه في الوقت الذي كان تنظير المحافظين الجدد يمتلك تماسكا ميدانيا اكثر فاعلية فان الجمهورية الاسلامية الايرانية تمكنت من ان تقاوم امام الاطماع التوسعية. ومن حيث المبدأ كان اثاره عقيدة الهجمات الاستباقية ردا على عدم فاعلية منطلق سد النفوذ.

الاستنتاج:

تطرق هذا المقال الى النزعة التدخلية للولايات المتحدة لوضع وفرض ترتيبات امنية في منطقة الخليج الفارسي. ومن خلال التحليل الحواري في القسم الاول من هذا المقال توضح ان الجذور النظرية في فشل الترتيبات الامنية والديمقراطية تعود الى غرابة الحوار الاقليمي في الخليج الفارسي مع القناعات الاجنبية والاستيرادية الغربية. ومن خلال الاستلهم من عقائد فوكو ودريدا وغرامشي تم السعي الى اثبات هذه القضية بان منطقة الخليج الفارسي لها حدود معينة خاصة للحوار وان اي ترتيبات سياسية يجب ان تنبثق من الداخل وتكون جذورها من عمق الذكريات الازلية والقومية والوطنية لشعوب المنطقة.

وفي القسم الثاني تم التطرق الى عصر المحافظين الجدد وسياساتهم الاستراتيجية في اطار عقيدة الهجمات الاستباقية وعملية سد النفوذ بحيث تم تبين اسباب وعوامل عدم نجاح عقيدة الهجمات الاستباقية وفي المجموع شرحت هذه العقيدة من ثلاثة ابعاد وهي طبيعة وماهية الاسس المدمرة لاحداث ١١ سبتمبر وفشل قوة بناء الامبراطورية والعجز في تصدير الامن والديمقراطية الى المنطقة.

وبعد عدم الفاعلية البنوية للهجمات الاستباقية التي تبناها المحافظون الجدد فانهم احيوا مرة اخرى عملية سد النفوذ بحيث ان هذه العملية مستمرة لحد الان.

ان ابرز نقطة تم التطرق اليها في هذا القسم هو التاكيد على هذا الموضوع بان ضعف اداء عملية سد النفوذ أدى الى توجه المحافظين الجدد الى التنحي عنها والاقبال على فكرة الهجمات الاستباقية. وتواصل الولايات المتحدة الى الان تخبطها بحيث تتابع في البعد الاقليمي موضوع اعادة الهدوء والاستقرار الذهني الى الدول العربية وكذلك تبذل محاولات يائسة لاثارة العداء بين الدول الجارة. وفيما يتعلق

التدخلات الاميركية والفشل في إقامة ترتيبات ديمقراطية وامنية في الخليج الفارسي / ١١٥

بالعراق فان الولايات المتحدة بصدد خلق مواجهة بين المجموعات العراقية المختلفة. وبغض النظر عن تعرض الولايات المتحدة لنار هذه الخلافات فان هذا التوجه ليس ايجابيا و ليس بناءاً للمصالح الاقليمية. ولذلك يمكن القول ان هذا التوجه كان عابرا ويجب ان نتطلع الى سياسات الرئيس الاميركي الجديد باراك اوباما وطاقمه ربما تستعيد السمعة الدولية للولايات المتحدة.

المصادر :

- افاحسيني، على رضا، تعارض علم معرفة الديبلوماسية الاسلامية مع الديبلوماسية الغربية، الملتنقى الدولي للنبي الاعظم، جامعة اصفهان، ٣٨٥.
- الاسس المدمرة لديمقراطية الاستقلال والقراءات الديمقراطية في منطقة الخليج الفارسي، الملتنقى الدولي تحت عنوان الخليج الفارسي على مدى التاريخ، المجلد الثالث، اصفهان ٢٠٠٥.
- خليل زاد، زلماي، المجمع العالمي للولايات المتحدة والاسلام، الدوحة، قطر، ١٩٩٨
- رستمي، علي، اسباب النظرة السلبية للمسلمين الى الولايات المتحدة (مؤسسة غالوب لاستطلاع الاراء) فصلية دراسات الشرق الاوسط، العدد الاول ٢٠٠٢.
- سلطاني نجاد، احمد، حاجي يوسف، افاق العراق الاقليمية والدولية بعد صدام، طهران، معهد الدراسات السياسية والدولية، ٢٠٠٧.
- سيف زاده، حسين، مبادئ العلاقات الدولية، طهران، ميزان، ٢٠٠٢.
- فضلي بور، عظيم، القوة العظمى الوحيدة، جي جان ايكبري، طهران، مؤسسة ابرار الثقافية، ٢٠٠٣.
- تقرير بيكر - هاميلتون، طهران، مؤسسة ابرار الثقافية، ٢٠٠٦.

Wittgenstein,L.Philosophical Investigations,Oxford:Basil
Blackwell,1958. -

Huntington:s. The Great American Myth,February 2005. –

- Aletta Norval, De-Constructing Apartheid, London: Verso 1996. P64.65 -
Rabinow, P., The Foucault Reader, New York: Pantheon Book, 1984 –
Derrid, J., Of Grammatology, Baltimore, MD: Johns Hopkins University -
Press, 1976
Mouffe, C., De- Construction and pragmatism, London: Routledge, 1996 -
Bouchard, D. Language, Counter-Memory, Practice, New York: Cornell -
University Press, 1977.
Derrida, J., Limited Inc., Evanston, Northwestern University Press, 1988.-
Forgacs, D., A Gramsci Reader, London: Lawrence and Wishart, 1999
Smith, A., Laclau and Mouffe, London: Routledge, 1998.-
Laclau and Mouffe, Hegemony and Socialist Strategy, London,
Verso, 1985-
Li, L., Persian Gulf... Chinaview, 2006, pl-13.-
Mirsepassi, A., Intellectual Discourse and the politics of Modernizations-
Cambridge university press, 2000.
Howarth, D., Discourse, London, Open university, 2000.-
Huntington, S., Political Order in Changing Societies, New Haven, Yale-
University Press, 1968.
Huntington, S., The Clash of Civilizations and the Re-making of World
Order, -
New York Simon and Schuster, 1993.